الإمام أبو الأعلى المودودي

إلى أي شئ يدعو الإسلام

مكتبة الرشد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتبت هذا البحث بطلب من المجلس الاسلامى الأوروبى (Islamic Council of Europe) لالقائه فى المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقده المجلس فى العشر الأول من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٦م بلندن . ومن الأسف انني لم استطع حضور هذا المؤتمر لانحراف صحتى . ولكن البحث ألقى فى المؤتمر فى جلسته التى عقدت فى الرابع من ابريل فى قاعة (Royal Commonwealth Society) بلندن . واتقدم الى القارى الكريم بترجمته العربية التى قام بها خليل احمد الحامدى مدير دارالعروبة للدعوة الاسلامية .

وتناولت فى البحث ثلاث عقائد أساسية فى الاسلام . لأن البحث موجه اساسا الى غير المسلمين . ولذلك احببت أن اركز العناية على ثلاث عقائد رئيسية فى الاسلام . وهى الايمان بالله ، والايمان بالرسالة ، والايمان بالآخرة . والذى يؤمن بها مبدئيا لاجرم أنه يؤمن بعد ذلك بجميع العقائد الأخرى التى يأتى بها الاسلام كالايمان بالملائكة والايمان بالقدر .

وحاولت ان اقدم الى الغرب حقيقة الاسلام من خلال عقائده الثلاث ، باسلوب ايجابى ، ليتمكن كل انسان يريد ان يفهم الاسلام بصورته الصحيحة من المقارنة بين ما يقدم الاسلام للانسان من تصورات عن الاله والانبياء والدنيا والآخرة ، وبين ما يحتوى عليه الأديان الأخرى من نظريات وضعها الانسان نفسه حول هذه الأمور .

ابوالاعلى المودودى

٩/٥/١٩٧٦م

لاهور - باكستان

الى اى شئ يدعو الاسلام ؟

الاسلام هو دين البشرية منذ آدم :

١- من اللازم أن نوضح ، ونحن فى مستهل الحديث ، أن الاسلام فى عقيدتنا ليس اسما لدين بدع كان محمد ﷺ أول من تقدم به حتى يصح وصفه ﷺ بمؤسس الاسلام . بل القرآن يصرح كل الصراحة أن الله تعالى لم يرسل الى البشرية طول التاريخ البشرى إلا دينا واحدا ، وهو الاسلام ، اى استسلام الانسان لحكم الله . وكل الأنبياء الذين بعثهم الله فى أقطار مختلفة من الارض ، وفى شعوب مختلفة فى العالم لم يكونوا بناة لأديانهم حتى نعبر عن دين من تلك الأديان بالدين النوحى أو بالدين الابراهيمى أو بالدين الموسوى أو بالدين المسيحي . بل كل نبى جاء من عندالله تعالى دعا الى نفس الدين الواحد الذى دعا اليه من سبقه من الأنبياء[١]

....

١- قل ما كنت بدعا من الرسل (الأحقاف : ٩) . ان الدين عندالله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيابينهم . ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب (آل عمران: ١٩) . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (آل عمران : ٦٧) . أفغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق←

خصائص محمد ﷺ :

٢- والخصائص التى يمتازبها محمد ﷺ من بين سائر الانبياء هى : أولا : هو آخر انبياء الله . ثانيا : على يده بعث الله من جديد نفس الدين الأصيل الذى نادى به جميع من قبله من الانبياء . ثالثا : استخلص الله هذا الدين من كل ما مزجه الناس فى حقب مختلفة من التاريخ من عند انفسهم وجعلوا منه ديانات (Religions)

....

بين احدمنهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (آل عمران : ٨٣ الى ٨٥). وأمرت ان اكون من المسلمين (يونس : ٧٢). وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين (يونس : ٨٤) . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم (البقرة : ١٢٨) . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون (البقرة : ١٣١ الى ١٣٣) . رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السماوات والارض. انت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين (يوسف : ١٠١) . انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون (المائدة : ٤٤) . واذ اوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون (المائدة : ١١١). قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (النمل : ٤٤) .

متفرقة ، وعلم البشرية بواسطة محمد ﷺ الاسلام الحقيقى الخالص . رابعا : ولما يكن الله ليبعث بعده ﷺ نبيا أو رسولا جعل الكتاب الذى انزله عليه محفوظا نصا وفصا بلغته التى نزل بها(٢) . لكى يتمكن الانسان من الاهتداء بهديه فى كل عصر من العصور(٣).

....

٢- ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (الاحزاب : ٤٠) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه . الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب . (الشورى : ١٣) . قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون (آل عمران : ٨٤) لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة (البينة : ١ الى ٣) .

٣- وفيما يتعلق بالقرآن فانه لامجال للشك فى أنه هو القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يدخل عليه أى تبديل أو تحريف. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة كل ما يتنزل عليه من القرآن بدون تأخير. واستمر هذا الأمر الى وفاته صلى الله عليه وسلم . جاء خليفته الأول (ابوبكر رضى الله عنه) وجمع هذا القرآن الذى كتب كله فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان متفرقا . فجمع من الرقاع والعسب وغيرها ثم استنسخ منها مصحفا واحدا جعله محفوظا فى دارالخلافة . ثم جاء الخليفة الثالث (عثمان رضى الله عنه) واستنسخ مصاحف متعددة من المصحف الامام ، ووزعها فى الأمصار وجمع المسلمين عليها . ومنذ ذلك العهد الى هذه الساعة خذ ما كتب ، أو طبع من المصاحف وانظر فيها بكل دقة وامعان ، لاتجد بينها ولا فرقا يسيرا . وعلاوة على ذلك امر المسلمون فى أول يوم من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة—

خامسا : احتفظ أصحابه ومن جاء بعدهم من المحدثين ، بسيرته وسنته عليه الصلاة والتسليم بطريقة مثالية لم يتم الاحتفاظ بترجمة حياة اى نبى أو شخصية تاريخية أبدا بصورة احفظ منها واشمل(٤) .

سادسا : هكذا فان القرآن ثم سيرة صاحبه وسنته اللتين بلغتا من الصحة الشأو البعيد ، اصبحا مصدرين موثوق بهما لمعرفة ما هو دين الله فى الواقع ، وما هو الهدى الذى جاء به الينا ، وما ذا يقتضيه منا .

....

٣ـ ما تيسر من القرآن فى الصلوات . نحفظ مئات من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً فى صدورهم ، وحفظ جميع الصحابة اجزاء متفرقة منه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنذ ذلك اليوم بدأ عندالمسلمين الاهتمام بحفظ القرآن بكامله حرفا حرفا بظهر الغيب والقاءه فى صلاة التراويح فى شهر رمضان كل سنة . وما من عهد فى التاريخ الاسلامى الا وجد فيه الملايين من الناس الذين حفظوا القرآن كاملا بظهر الغيب . وهل من كتاب دينىّ فى العالم أعتنى بالحفاظ عليه مكتوبا فى الأوراق ومحفوظا فى الصدور كما أعتنى بالقرآن الكريم ، بحيث لا يدخل فى صحته ولا مثقال ذرة من الشك والريبة ؟

٤ـ وتلك الطريقة ـ بايجاز ـ هى ان كل شخص كان يروى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه أن يذكر جميع الرواة الذين بواسطتهم وصلته تلك الرواية . ويصرح : هل ترتفع سلسلة الرواة الى راو سمع تلك الرواية بطريق مباشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل ام لا. ثم ان جميع الرواة الذين نقلوا تلك الروايات الى الذين جاءوا بعدهم قد فحصت احوالهم تمحيصا دقيقا لادراك صحة رواياتهم . وكذلك تم تدوين المجاميع العديدة للاحاديث ، واعتنى القائمون بها بذكر سلسلة الرواة على رأس كل حديث من الأحاديث . ثم ألفت كتب التراجم والرجال نستطيع من خلالها أن نتأكد اليوم مما كان عليه سيرة النبى صلى الله وسلم، وماذا جاء به من التوجيهات للناس بأقواله واعماله وسلوكه .

نؤمن بجميع الأنبياء ولا نتلقى الا من محمد ﷺ :

٣ـ اننا ، وان نؤمن بجميع من جاء قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ، ذكرهم الله فى القرآن أو لم يذكرهم(٥) ، وان هذا الايمان جزء لازم من عقيدتنا لايكتمل اسلامنا بدونه(٦) ولكننا لانتلقى الهداية الا من محمد ﷺ فقط . وهذا أمر ليس مرده نزعة عصبية . وانما السبب الحقيقى فى ذلك هو : أولا : انه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ولذلك التعليم الذى جاء به من عندالله عزوجل هو آخر التعاليم (Latest Dispensation) . ثانيا : وكلام الله (Word of God) الذى بلغنا عن طريقه هو كلام الهى خالص محض لم يمازجه شيء من كلام البشر . وهو محفوظ بلغته الأصلية ولغته تعتبر من اللغات الحية فى العالم ينطق بها اليوم الملايين من البشر : يكتبون بها ويفهمونها . ولم يطرأ أى تغيير على قواعد هذه اللغة ومبانيها ومعانيها واساليبها ولهجتها ورسوم الكتابة بها . ثالثا : وكما ذكرنا آنفا ، أن سيرته صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من الاخلاق والسلوك والاعمال وما صدر منه من الأقوال تمّ

....

٥ـ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (المؤمن : ٧٨) .

٦ـ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (البقرة : ٢٨٥) . ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما (النساء : ١٥٠ الى ١٥٢) .

تدوينه وحفظه باصح مـا يكون من الطرق ، وباكثر مـا يمكن من التفاصيل . وبما أن هذه الميزة لاتنطبق على غيره من الانبياء السابقين نؤمن بهم ولا نتبعهم .

٤- ان رسالة محمد ﷺ بموجب عقيدتنا جاءت لجميع العالم ولسائر الأزمان . وذلك : اولا : القرآن نفسه يصرح بذلك(٧) ثانيا : وهو المقتضى المنطقى لكونه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء، لأن كون نبى آخر الانبياء يستوجب ، بحكم المنطق ، أن يكون هو الهادى والموجه لجميع الناس ولسائر مـا يتبعه من الدهور والعصور . ثالثاً : قد استكملت على يديه الهداية التى يفتقر اليها الانسان لاختياره الطريق السوى(٨) . وهذا ايضا مما يقتضيه المنطق ، اذ ان كل نبى يبعث ثم لا تنزل عليه الهداية المتكاملة لا يمكن أن يكون هو آخر الانبياء ، بل تبقى الحاجة بعده ايضا الى نبى أو رسول . رابعاً : من الواقع أنه لم يأت بعده صلى الله عليه وسلم مـا يقارب اربعة عشر قرنا شخص ادعى النبوة ثم يتشابه الأنبياء فى سيرته وسلوكه وأقواله وأعماله ولو بأبعد وجه من الشبه ، أو أدعى أنه يوحى اليه ثم جاء بكتاب يتناسب مع كلام الله ولو بأقل درجة من النسبة ، حتى يوصف بأنه نبى حامل الشريعة (Law Giver).

٧- قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السماوات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (الاعراف : ١٥٨).
وأوحى الىّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ (الانعام : ١٩) . وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون (سبا : ٢٨) . ان هو الا ذكر للعالمين (التكوير : ٢٧) .

٨- اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (المائدة : ٣) .

العلم الذى لاينا له الانسان إلا من الانبياء :

٥- ومن الضرورى كذلك فى هذه المرحلة من البحث أن نعرف مـا هو العلم الذى يفتقر اليه البشر ولم يتلقه الا عن طريق الانبياء فقط :

ان هناك فى الدنيا اشياء نعرفها بأحاسيسنا أو ندركها باستخدام أدواتنا الفنية (Scientific Instruments) . ثم ان المعلومات التى نحصل عليها من هذين الطريقين نستطيع أن نرتبها بالاستعانة بالمشاهدات والتجارب وباعمال قوة التفكير والاستشهاد لكى نصل منها الى استنتاجات جديدة . فالعلم بهذا النوع من الاشياء ليس من قبيل مايضطر الانسان الى أن ينزله الله اليه . اذ أن هذه الأشياء تدخل ضمن نطاق مجهودنا وبحثنا وتفكيرنا وتأملاتنا واكتشافاتنا . وان خالقنا الكريم وان لم يتركنا كليا فى هذا المجال ايضا . بل انه ظل يعرفنا على اسرار كونه وخفايا مخلوقه بطريقة غير محسوس بها ، وبالتدريج الملحوظ عبر التاريخ الانسانى ، وظل يفتح علينا أبواب المعرفة والاطلاع والتفهم . كما ظل يطلع شخصا من الاشخاص من حين لآخر بطريق الايحاء على امر استطاع من خلاله أن يأتى باختراع جديد ، أو يتوصل الى قانون جديد للطبيعة ولكن هذا النوع من العلم فى مجموعه يدخل فى نطاق العلم الانسانى . ولايستلزم الحصول عليه ظهور نبى من الله أو نزول كتاب منه . لأن المعلومات التى تلزم للانسان فى هذا النطاق قد أوتى الانسان وسائل الحصول عليها .

والقسم الآخر من الأشياء التى هى أسمى من أن تبلغها أحاسيسنا ، أو تتحكم فيها أدواتنا الفنية (Scientific Instruments) فلا نستطيع وزنها أو كيلها ولا تسعفنا وسيلة من وسائل الاطلاع التى نملكها فى التوصل الى معلومات عنها توصف "بالعلم"

(Knowledge) . واذا جاء الفلاسفة أو العلماء يرون فيها رأيا فلا يتجاوز رأيهم تخمينا محضا (Guess) أو ضربا من الظن (Speculation) . اى رأى لايوصف "بالعلم" . وهى الحقائق النهائية (Ultimate Realities) . والنظريات الاستنباطية حول هذه الحقائق لايقول حتى الذين وضعوا هذه النظريات أنها يقينيات . وهم ان عرفوا مبلغهم من العلم لا يجبوا ان يؤمنوا بها ، ولا أن يدعوا غيرهم الى الايمان بها .

هذا هو النطاق الذى يفتقر فيه الانسان لادراك الحق الى العلم الذى يؤتيه الله خالق الكون . ولم يؤته خالق الكون هذا العلم بحيث طبع كتابا ، وناوله كل فرد من أفراد البشر ، وأمر دراسته لكى يعرف بنفسه ما هى حقيقة الكون وما هى حقيقته نفسه ، وماذا عسى ان يكون دوره فى الحياة الدنيا فى ضوء هذه الحقيقة . بل إنه جل وعلا قد اختار انبياء ورسلا لتبليغ الانسان هذا العلم فأطلعهم على تلك الحقائق بالوحى ، ثم أمرهم بأن يبلغوا الناس هذا العلم .

ما هى مهمة الانبياء :

٦- وليس من مهمة النبى أن يبلغ الناس علم الحق فقط ، بل من مهمته أيضا أن يخبر الناس وفقا لذلك العلم بما هى العلاقة الواقعية (Factually) ، وما ذا يجب أن يكون عليه العلاقة الفعلية (Actually) بين الله والانسان وبين الانسان والانسان . ثم ما هى مبادىء الحضارة والمدنية التى يتطلبها هذا العلم ، وكيف تؤسس كل شعبة من شعب الحياة كالاجتماع ، والاقتصاد ، والمالية ، والسياسة ، والقضاء ، والحرب والمصالحة ، والعلاقات الدولية وما الى ذلك على مقتضى هذا العلم . ولايجىء النبى بطائفة من الطقوس والعبادات (Ritual and Worship) فقط التى يصطلح عليها الناس

بالديانة (Religion) ، بل يجىء بنظام متكامل للحياة يصطلح عليه الاسلام بالدين (Way of Life) .

٧- ثم لا تقتصر مهمة النبى تبليغ علم الدين فقط ، بل من مهمته كذلك أن يفهم الذين يؤمنون به ويسلمون ما لهذا الدين من العقائد والاخلاق والعبادات والاحكام القانونية ونظام الحياة فى الجملة ، وأن يجعل من نفسه مسلما مثاليا يحذون حذوه فى حياتهم الفعلية ، وأن يعدهم على المستوى الفردى وكذلك على المستوى الجماعى على أن يكونوا قاعدة صالحة للحضارة الاسلامية السليمة والمدنية الاسلامية النزيهة ، وأن ينظمهم ويجعل منهم جماعة تشمر عن ساق الجد لاقامة دين الله فى واقع الحياة الى ان تكون كلمة الله هى العليا وتكون سائر الكلمات الأخرى هى السفلى . وليس من اللازم أن كان كل نبى قد بلغ فى صدد مهمته المشار اليها آخر أشواط الانتصار، بل كم من نبى لم يواكبه النجاح فى مهمته، لا لقصور منه ، بل لسبب مقاومة الناس المتعنتين له وعدم ملاءمة الظروف . وعلى كل حال ، هذه هى المهمة التى اسندت الى كل نبى من الأنبياء . غير ان الذى امتاز به محمد ﷺ ، والتاريخ ابرز شاهد على ذلك ، هو أنه جعل حكومة الرب قائمة فى الارض كما هى قائمة فى السماء .

٨- ان القرآن الكريم ومحمدا ﷺ يجعل كل منهما خطابه اما عاما شمل جميع البشر ، واما خاصا استهدف الذين أسلموا من بين الناس وقبلوا دعوة الاسلام فخاطبهم ككونهم مؤمنين . واذا تصفحت القرآن الكريم من أوله الى آخره أو تغربلت كل السجلات المدونة من خطب محمد صلى الله عليه وسلم وأحاديثه لا تجد ابدا أن هذا الكتاب أو الرسول الذى جاء به هذا الكتاب يخاطب بلدا بعينه ، أو شعبا بعينه ، أو جنسا بعينه ، أو طبقة بعينها من الناس ، أو الناطقين بلغة بعينها . بل أن كلا منهما إما خاطب البشرية قائلا: "يا بنى آدم" و "يا ايها الناس" ووجه اليهم دعوة الاسلام ، أو

خاطب الذين آمنوا بدعوته ليعطيهم مايلزمهم من الاحكام والتعاليم قائلا : "يا ايها الذين آمنوا" . ويتضح من ذلك تلقائيا أن دعوة الاسلام عالمية (Universal) . وكل من يقبل هذه الدعوة من البشر يصير مؤمنا (Believer) ، وينال كل الحقوق على قدم المساواة . يقول القرآن : "انما المؤمنون اخوة"(٩) ويقول الرسول ﷺ : من شهد أن لا اله الا الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم(١٠) وقال ﷺ اكثر من ذلك صراحة : "ايها الناس ! الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد . الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على احمر الا بالتقوى(١١)".

العقائد التى يقوم عليها بناء الاسلام

١ : الايمان بالله :

٩- العقائد التى يقوم عليها بناء الاسلام أهمها وأفضلها الايمان بالله الواحد ، اى لا الايمان بان الله موجود فحسب ولا الايمان بأنه واحد فحسب ، بل الايمان بأنه هو الخالق لهذا الكون ، ومالكه (Master) ، وحاكمه (Ruler) ، ومسيّره (Administrator)(١٢) . وبأن

....

٩- الحجرات : ٨ .

١٠- البخارى : كتاب الصلاة - باب : فضل استقبال القبلة .

١١- مسند الامام احمد - ج ٥ - ص ٤١١ - البيهقى : كتاب الحج - ابن القيم : فى زاد المعاد : ج ٤ - ص ٣١ .

١٢- قل من رب السماوات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الاعمى والبصير ، ام هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار (الرعد : ١٦) . تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى . ←

الكون قائم بامساكه اياه ، وسائر بتسييره اياه . وهو الذى يؤتى كل شىء فيه ما يضطر اليه من الرزق (Subsistence) أوالقوت (Energy) لبقائه(١٣) وهو متسم بجميع صفات الحاكمية (Attributes of Sovereignty) لايشاركه فيها احد ولا بقدر قطمير(١٤) . وهو الذى يتصف بجميع صفات الالوهية (Divinity) ولا يملك احد غيره أية

....

← الرحمان على العرش استوى . له ما فى السماوات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى . وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى . الله لا اله الا هو . له الاسماء الحسنى . (طه : ٤ الى ٨) . ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . الا له الخلق والامر . تبارك الله رب العالمين (الاعراف : ٥٤) . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون (السجدة : ٥) . الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير (البقرة : ١٠٧) . الذى له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا (الفرقان : ٢) .

١٣- يايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون (فاطر : ٣) ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا (فاطر : ٤١) ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين (الذاريات : ٥٨) . قل اغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء (الانعام : ١٦٤) .

١٤- وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (الانعام : ١٨) قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به . ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (الانعام : ٥٧) . له غيب السماوات والارض . أبصر به وأسمع . ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا . واتل ما اوحى اليك من كتاب ←

صفة من تلك الصفات(١٥) . وهو بصير بكل ما فى السموات والارض.

....

← ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا (الكهف : ٢٦ ، ٢٧). له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الأمور (الحديد : ٥). هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (الحشر : ٢٣). تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير (الملك : ١). فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون (يس : ٨٣). قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم نفعا (الفتح : ١١). وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو. وان يردك بخير فلا رآد لفضله. يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (يونس: ١٠٧). قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا (الجنّ : ٢٢). قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون (المؤمنون : ٨٨). فعال لما يريد (البروج : ١٦). ان الله يحكم ما يريد (المائدة : ١). والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (الرعد : ٤١). لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (الأنبياء : ٢٣). اليس الله باحكم الحاكمين (التين : ٨). قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير. (آل عمران : ٢٦). افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون (آل عمران : ٨٣). يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الأمر كله لله (آل عمران : ١٠٤). ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (الاعراف : ١٢٨).

١٥- واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (مريم : ٨١ ، ٨٢). واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون. لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون (يس : ٧٤ ، ٧٥). وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك ، وما←

عليم بكل شىء ايهما علما مباشرا لايحيط بحاضره فحسب ، بل بماضيه ومستقبله ايضا . ليس لأحد غيره هذه العين التى تبصر الجميع وهذا

....

← زادوهم غير تتبيب (هود : ١٠١). أفمن يخلق كمن لايخلق افلا تذكرون (النحل : ١٧). والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون (النحل : ٢٠). الهكم اله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون (النحل : ٢٢). وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون (النحل : ٥١) ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون. فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون (الاحقاف : ٢٧ ، ٢٨). وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون. ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمان بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون (يس: ٢٢ ، ٢٣) ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون (يونس : ١٨). وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم (الزخرف : ٨٤). يايها الناس اذكروا لعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون (فاطر : ٣). قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (الانعام : ٤٦). وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون (القصص : ٧٠). قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون (القصص : ٧٢). قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (سبا : ٢٢ ، ٢٣). خلق السماوات والارض←

العلم بالغيب الذى يحيط بكل شيء (١٦). وهو قائم من الأزل وباق

....

← بالحق يكور اليل على النهار ويكور النهار على اليل وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى . ألا هو العزيز الغفار . خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم فى بطون امهاتكم ، خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون (الزمر : ٥، ٦). امن خلق السماوات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون (النمل : ٦٠). امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (النمل : ٦٤) . واتخذوا من دونه الهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولانفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (الفرقان : ٣). خلق السماوات والارض بالحق تعالى عما يشركون. خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (النمل : ٣ ، ٤ ، ٥).

١٦- واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور. الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (الملك : ١٣ ، ١٤). او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمان انه بكل شيء بصير (الملك : ١٩) له غيب السماوات والارض ابصر به واسمع ما لهم من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا (الكهف : ٢٦). ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد (ق : ١٦). هو الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير (الحديد : ٤) قل لا يعلم من فى السماوات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون (النمل : ٦٥). يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور. وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى ←

الى الأبد. وكل من سواه فان وهو الواحد الحى بحياته. والباقى ببقائه (١٧). لم يلد. ولم يولد. وكل ما فى السموات والارض مخلوق له. وليس لأحد فيهما ان يقال له ندرب الكون (Lord of the Universe) ، أوابنه ، أو بنته بأى معنى من المعانى (١٨). وهو المعبود الحقيقى للبشر. واشراك غيره فى عبادته

....

← وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين (سبا : ٢ ، ٣). وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (الانعام : ٥٩).

١٧- هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. (الحديد : ٣). ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون (القصص : ٨٨). الله لا اله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بماشاء وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم (البقرة: ٢٥٥) هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (المؤمن: ٦٥).

١٨- لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا احد. (الاخلاص : ٣، ٤) وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السماوات والارض كل له قانتون. بديع السماوات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون. (البقرة : ١١٦، ١١٧). بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم. (الانعام : ١٠٢). ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (المومنون : ٩١). ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا. ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا. (الكهف : ٤ الى ٥) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون (مريم : ٣٥) . وقالوا اتخذ الرحمان ←

لهو اعظم الجرائم واكبر انواع الخيانة (Infidality) . وهو الذى يجيب دعاء الانسان . وله الخيار فى أن يستجيبه أو يرفضه . وأن يمتنع الانسان من الدعاء اليه كبر بغير حق ، وأن يدعو غيره جهل محض ، وأن يدعو معه الها آخر اشراكه فى الوهيته(١٩) .

١٠- من وجهة نظر الاسلام ان حاكمية الله تعالى لاتقتصر على ماوراء الطبيعيات (Super Natural) بل لـه حاكميـة سياسية وقانونية ايضا . ولا يشاركه احد ايضا فى تلك الحاكمية . وليس لأحد سواه ان يمارس حكمه على ارضه وعلى عباده . سواء أكان هوالغير ملكا ، أو اسرة ملكية ، أو فئة حاكمة ، أو نظام ديمقراطى يـؤمن بحاكميـة الجماهير (Sovereignty of the People) . وكل من يستقل بسيادته دون الله فهو متمرد . والذى ينصرف منه الى غيره

....

←ولدا . لقد جئتم شيئا إدّا . تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمان ولدا . وما ينبغى للرحمان ان يتخذ ولدا . ان كل من فى السماوات والارض الا اتى الرحمان عبدا (مريم : ٨٨ الى ٩٣) .

١٩- ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون (القصص : ٨٨) . الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار (الزمر : ٣) . قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون (الزمر : ٦٤) خلق السماوات والارض بالحق . . . ذلك الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون (الزمر : ٥ ، ٦) واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنىّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم (لقمان : ١٣) . قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (سبا : ٢٢) . قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار (ص : ٦٥) . وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (المؤمن : ٦٠) .

ويطيعه فهو كذلك متمرد . ونفس الأمر ينطبق على الشخص أو الهيئة التى تستبد لنفسها بالحاكمية السياسية والقانونية ، ويجعل سلطات الله (Juridication) قاصرة على الأحوال الشخصية (Personal Law) فقط ، أوعلى الأحكام والتعليمات الدينية ـ بالمعنى المحدود للدين ـ والحق أنه لا يوجد أحد من دون الله ـ ولا يمكن أن يوجد ـ شارع مطلق (Law Giver) فى ارضه التى بسطها ، ولعباده الذين خلقهم . ولايحق لأحد أن يتحدى سيادته العليا (Supreme Authority) (٢٠) .

....

٢٠- أرأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا (الفرقان : ٤٣) . اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون (التوبة : ٣١) . وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب (الشورى : ١٠) . ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم (الشورى : ٢١) . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم . (المومنون : ١١٦) . قل اعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس (الناس ١ الى ٣) . ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون (يوسف : ٤٠) . اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون (الاعراف : ٣) . والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . الم تعلم أن الله له ملك السماوات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء . والله على كل شىء قدير (المائدة : ٣٨ - ٤٠) . وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون (المائدة : ٤٥) . يايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان . ذلك تخفيف←

١١- وهذا التصور للاله يستلزم أمورا عديدة بحكم المنطق :

....

→ من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم (البقرة : ١٧٨). كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين. فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم . فمن خاف من موص جنفا أو اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه . ان الله غفور رحيم (البقرة : ١٨٠ الى ١٨٢). الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الايقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به . تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون (البقرة : ٢٢٩). واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلك ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لاتعلمون (البقرة : ٢٣٢). آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما (النساء : ١١). الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا (النساء : ٦٠) . ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لايعلمون (الجاثية : ١٨). ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون (المائدة : ٤٤). ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون (المائدة : ٤٥). ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون (المائدة : ٤٧). افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون (المائدة : ٥٠). ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون (النحل : ١١٦). الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (النور : ٢) . قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون (آل عمران : ٦٤) .

أولا : أن الله هو المعبود الحقيقى الواحد للانسان (أو بكلمات أخرى هو الذى يستحق أن يعبده الانسان) . وليس لأحد غيره أن يعبده الانسان . ثانيا : هو الواحد يتحكم فى جميع قوى الكون . وله الخيار فى أن يستجيب دعوات الناس أولا يستجيب . ولذلك يجب على الانسان أن لا يدعو إلا اياه ، وأن لا يظن فى أحد من دونه يستحق الدعاء ويملك الاجابة . ثالثا : وهو الواحد الذى يملك مصائر الانسان (Destiny) . ولا يقدر غيره أن ينفع الانسان أو يضره . فليس للانسان أن يرجع إلا إليه خوفا أو طمعا . لا يرجو إلا رحمته ولا يخاف إلا عذابه . رابعا : هو الخالق والمالك للانسان ولما حوله من الكون . وعلى هذا هو الذى يعلم ويقدر أن يعلم حقيقة الانسان وكذلك حقائق الكون بأجمعه علما مباشرا وكاملا . وهو الذى يقدر أن يهدى الانسان الطريق السوى من بين السبل المعوجه (Complicated) ويعطيه النظام الصحيح للحياة . خامسا : ثم إذا كان هو الله الواحد خالق الانسان ومالكه وهو المالك لهذه الأرض التى يعيش عليها فمن الكفر الصريح (Blasphemy) أن تكون الحاكمية على الانسان لغيره أو للانسان نفسه . ونفس الحكم ينطبق على الانسان إذا جاء هو نفسه شارعا (Law Giver) لنفسه ، أو يقر لشخص أو مجموعة من الأشخاص أو هيئة من الهيئات بصلاحيات التشريع . بل الله له وحده أن يكون الحاكم فى أرضه وعلى مخلوقه ، وأن يكون المشرع له . سادسا : ومن وجهة كونه مالكا للسلطة العليا قانونه هو القانون الاعلى (Supreme Law) . ولا يملك الانسان صلاحيات للتشريع (Legislation) . إلا إذا كانت تابعة للقانون الأعلى ، ومستمدة منه أو مبنية على اذنه .

٢- الايمان بالرسالة

١٢- وتأتى فى هذه المرحلة عقيدة أساسية أخرى فى الاسلام . وهى عقيدة الايمان بالرسالة . فالرسول شخص ينزل الله تعالى قانونه

على البشر بواسطته . ويصلنا هذا القانون من الرسول بصورتين . أولاهما : وحى الله تعالى بنفس الالفاظ التى نزل بها على الرسول . وهو القرآن . ثانيا : الأقوال والاعمال والأوامر والنواهى التى توجه بها الرسول إلى أتباعه وفق تعليمات الله . وهى السنة . وأهمية هذه العقيدة أنها إذا لم تكن يبقى الايمان بالله تعالى فكرة جوفاء (Theoretical) وتصورا مجردا . والشىء الذى يصوغ عقيدة الايمان بالله فى قالب الحضارة والمدنية ونظام الحياة البشرية هو توجيه الرسول الفكرى (Ideological) إذ بواسطته يصلنا قانون الله تعالى . وهو الذى يبنى قواعد الحياة تبعا لمقتضى هذا القانون . ولذلك لا يصبير الانسان مسلما الا إذا آمن بالرسالة بعد ايمانه بالله.[٢١]

٣- وقد اوضح الاسلام مكانة الرسول بحيث نستطيع أن نعرف جيدا حقيقة الرسول من الناحية الايجابية . وكذلك نستطيع أن نعرف حقيقته من الناحية السلبية . فالرسول لايأتى لجعل الناس عبيدا له . بل لجعلهم عبيداً لله تعالى[٢٢] وعن نفسه ايضا يقول أنه عبدالله . والتعليم الذى آتاه الرسول للمسلم لاعادة كلمة الشهادة فى الصلوات الخمس سبع عشرة مرة يوميا على الأقل يتضمن النص التالى : "أشهد أن محمداً عبده ورسوله".[٢٣] ولا يترك القرآن أدنى مجال للشك

....

٢١- انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنّ الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله (النور : ٦٢) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون (الحجرات : ١٥) .

٢٢- ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (آل عمران : ٧٩) .

٢٣- أشهد أن محمداً رسول الله . البخارى كتاب الصلاة . والحديث متفق عليه . وقدرواه ايضاً مسلم وابو داؤد والنسائى وابن ماجه والدارمى والمالك فى موطأه والامام أحمد فى مسنده .

فى باب كون الرسول بشرا، و كونه غير شريك فى الألوهية (Divinity) ولا بمثقال ذرة .[٢٤] كما أنه ليس شخصا يفوق البشر . ولا يخلو من مقتضيات البشرية كالجوع ، والعطش ، والتعب ، والنوم ، والزواج والمرض ، والجرح وما إلى ذلك . ولا يملك خزائن الله . ولا يعلم الغيب بحيث يعلم كل ما يعلمه الله تعالى[٢٥] ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، فضلا من أن يملك لغيره نفعا أوضرا .[٢٦] وما عليه إلا البلاغ . ولا يملك أن يهدى من أحبه . وليس له أن يؤاخذ المنكرين، وينزل عليهم العذاب .[٢٧] وهو نفسه إذا عصى - والعياذ بالله ، أو

....

٢٤- قل انما انا بشر مثلكم يوحى إلىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا (الكهف : ١١٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى إلى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين (حم السجدة : ٦). وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجرلنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتبا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا (بنى اسرائيل : ٩٠ إلى ٩٣) .

٢٥- قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى إلى قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون (الانعام : ٥٠) . قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولوكنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (الاعراف : ١٨٨) .

٢٦- وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير (الانعام : ١٧) . قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ماشاء الله (يونس : ٤٩) .

٢٧- قل لو عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين (الانعام : ٥٨) وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب (الرعد : ٤٠) . انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين (القصص : ٥٦) . ←

افترى على الله شيئا ، أو تجاسر على تبديل وحى الله من عند نفسه ولو بشيء يسير لاينجو من العذاب .(٢٨) محمد صلى الله عليه وسلم رسول من الرسل ولا يملك مكانة تفوق الرسالة .(٢٩) وليس بيده أن يحرم شيئا أو يحله . أو بكلمات أخرى لا يجوز له أن يشرع من تلقاء نفسه بغير أن يأذنه الله .(٣٠) وهو مأمور باتباع الوحى الذى ينزل عليه من الله .(٣١)

....

← انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل (الزمر : ٤١) . لست عليهم بمصيطر (الغاشية : ٢٢) .

٢٨- ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير (البقرة : ١٢٠) . ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك إذا لمن الظالمين (البقرة : ١٤٥) . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع إلا ما يوحى إلى إنى اخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم (يونس : ١٥) . ولو تقول علينا بعض الاقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من احد عنه حاجزين (الحاقة : ٤٤ إلى ٤٧) .

٢٩- وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين (آل عمران : ١٤٤) . انك لمن المرسلين (يس : ٣) . قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلى وما انا إلا نذير مبين (الاحقاف : ٩) هذا نذير من النذ الاولى (النجم : ٥٦) .

٣٠- يايها النبى لم تحرم ما احل الله لك (التحريم : ١) .

٣١- إن اتبع إلا ما يوحى إلى (الانعام : ٥٠ ، يونس : ١٥ ، الاحقاف : ٩) .

هكذا أنقذ الاسلام البشرية من جميع المبالغات التى تورط فيها أتباع من سبق محمدا صلى الله عليه وسلم من الانبياء والرسل ، إلى أن جعلوهم آلهة ، أو أندادالله ، أو أولاده ، أو متجسده (Incar-nation) . انكر الاسلام جميع هذه المبالغات بكل صراحة ، وبين المكانة الحقيقية للرسول كمايلى :

لا يكون المرء مؤمنا مادام لا يؤمن بالرسول .(٣٢) من أطاع الرسول فقد أطاع الله فى الحقيقة . لأن الله لم يبعث رسولا الا ليطاع .(٣٣) ولا يهتدى إلا من أطاع الرسول .(٣٤) يجب الاخذ بما يأمره الرسول والانتهاء عما ينهاه .(٣٥) وأوضح محمد صلى الله عليه وسلم نفسه هذا الأمر فقال : انما انا بشر إذا امرتكم بشىء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشىء من رأى فانما أنا بشر - وفى رواية - انتم اعلم بأمر دنياكم .(٣٦)

....

٣٢- انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (الحجرات : ١٥) .

٣٣- وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون (آل عمران : ٥٠) . ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون (الزخرف : ٦٣) وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله (النساء ٦٤ :) من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا (النساء : ٨٠) . فاتقوا الله واطيعون (الشعراء : ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩) . أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون (نوح : ٣) .

٣٤- قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (النور : ٥٤) .

٣٥- وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب (الحشر : ٧) .

٣٦- المسلم : كتاب الفضائل . باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم عن معاش الدنيا على سبيل الرأى ، مسند الامام احمد : ج ١ ، ص ١٦٢ - ج ٣ ، ص ١٥٢ .

سنة الرسول بيان لمراد القرآن . ومُنزل القرآن ـ أى الله ـ هو الذى علّمه هذا البيان . وهذا الأمر يكسب بيانه سندا (Authority) الهيا . ولذلك لا يجوز لشخص أن يأتى ببيان للقرآن من تلقاء نفسه مستغنيا عن بيان الرسول .(٣٧) وجعل الله حياة الرسول أسوة للمؤمنين(٣٨) فلا يكون المرء مؤمنا مادام لا يسلم بمـا يقضى الرسول .(٣٩) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .(٤٠) وليس من شأن المسلمين كذلك إذا واجهتهم قضية من القضايا أن لا يتأكدوا قبل أن يقضوا فيها : ماذا امر الله ورسوله فيها .(٤١)

ويتضح مما سبق أن الله تعالى لم يؤت الانسان قانونا اعلى (Supreme Law) بواسطة الرسول فحسب ، بل آتاه كذلك قيما ثابتة (Permanent Values) . فالشيء الذى يقرره القرآن الكريم والسنة المطهرة خيراً هو خير للأبد ، والذى يجعلانه شراً هو شر للأبد . والذى جعلاه فرضا هو فرض قائم إلى الأبد . والذى جعلاه حلالا هو حلال إلى الأبد . والذى جعلاه حراما هو حرام إلى

....

٣٧ـ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل : ٤٤). ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه (القيامة : ١٧ إلى ١٩) .

٣٨ـ لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (الاحزاب : ٢١) .

٣٩ـ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (النساء : ٦٥) .

٤٠ـ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (الاحزاب : ٣٦) .

٤١ـ ياايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (الحجرات : ١) .

الأبد . ولا يحق لأحد أن يعدل فى هذا القانون ، أو يضيف إليه شيئا ، أو ينقص منه شيئا ، أو يلغيه (Abrogation) . اللهم الا شخص أو جماعة أو شعب قرر التخلى عن الاسلام . فمادام المسلمون مسلمين لا يمكن لهم أن يكون فى نظرهم شر الامس خير اليوم ثم يعود شرا فى اليوم التالى . فلا قياس ولا اجتهاد ولا إجماع حول هذا النوع من التغيير .

٣ـ الايمان بالآخرة

١٤ـ والعقيدة الأساسية الثالثة للاسلام هى الايمان بالآخرة . وأهمية هذه العقيدة فى أن الذى ينكر هذه العقيدة يصبح كافرا ، ولا يخرجه من الكفر بعد ذلك لا الايمان بالله ، ولا الايمان بالرسول ، ولا الايمان بالقرآن .(٤٢) وهذه العقيده تشتمل فى صورها التفصيلية على ستة تصورات اساسية :

....

٤٢ـ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (الانعام : ٣٠) . ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين (يونس : ٤٥) . وإن تعجب فعجب قولهم أ إذا كنا ترابا أ إنالفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (الرعد : ٥) . وقال الملاء من قومه الذين كفروا و كذبوا بلقاء الآخرة اترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (المؤمنون : ٣٣) بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (الفرقان : ١١) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد (سبا : ٧ ، ٨) . يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن ←

١- أن الانسان لم يترك فى الأرض غير مسؤول (Irresponsible) لا يسأل عما يفعل ، بل انه مسؤول أمام خالقه . والحياة الدنيا هى فى الحقيقة دار الامتحان والابتلاء . وبعد انتهاء هذه الحياة يحاسبه الله فى كل ما عمل فى الدنيا .(٤٣)

٢- قرر الله أجلا مسمى لهذه المؤاخذة . وبعد أن ينتهى الأجل الذى منحه الله عز و جل للانسان ليعمل ما يعمل فى الحياة الدنيا تقوم الساعة . ويطوى فيها النظام الموجود للحياة ، ليحل محله نظام آخر للحياة . ويبعث فى ذلك العالم الجديد كل أناس خلقهم الله من بدء الخليقة إلى يوم القيامة .(٤٤)

٣- وسيعرض جميع الناس فى آن واحد على المحكمة الالهية فتسال

....

← الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار . (ص ٢٦ إلى ٢٨) . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أ إذا متنا و كنا ترابا ذلك رجع بعيد (ق : ٢ ، ٣). زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا (التغابن : ٧) .

٤٣- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا (الكهف: ٧) . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور (الملك : ٢) . أيحسب الانسان أن يترك سدى (القيامة : ٣٦). انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا (الدهر: ٢) . وإذا الموؤدة سئلت . بأى ذنب قتلت (التكوير : ٩) . ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين (التطفيف : ١ إلى ٦) ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (التكاثر : ٨) .

٤٤- ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون (الزمر : ٦٨) . إن يوم الفصل ميقاتهم اجمعين (الدخان : ٤٠) . قل إن الاولين والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (الواقعة : ٤٩ إلى ٥٠).

كل نفس بصفتها الشخصية عن كل عمل قامت به فى الدنيا على مسؤوليتها الذاتية .(٤٥)

٤- وإن الله تعالى لا يقضى يوم القيامة بعلمه الذاتى لاعمال الناس بل سيحقق جميع شروط العدل . فيقدم امام المحكمة الالهية كتاب كل متنفس يحتوى على كل ما عمله فى الدنيا بدون زيادة أو نقص . وتساق انواع لا تعد ولا تحصى من الشهادات والبينات التى تثبت : ماذا فعل فى الدنيا سرا أو علانية وبأى نية فعل ما فعل .(٤٦)

....

٤٥- ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون (الأنعام : ٩٤) . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (مريم : ٨٠) وكلهم آتيه يوم القيمة فردا (مريم : ٩٥) .

٤٦- ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا (الكهف : ٤٩) . يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (النور : ٢٤) . إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه فى امام مبين (يس : ١٢) . اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون (يس : ٦٥) . واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجاىء بالنبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (الزمر : ٦٩) . حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة وإليه ترجعون (حم السجدة : ٢٠ ، ٢١) . أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون (الزخرف : ٨٠) . وترى كل امة جاثية . كل امة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنانستنسخ ما كنتم تعملون (الجاثية : ٢٨ و ٢٩) . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول ←

٥- لا يقبل فى المحكمة الالهية مال ، ولا تنفع شفاعة بغير حق ولا يؤخذ عدل ، ولا تنتصر محاماة تنافى الحق ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . ولن يستطيع يومئذ قريب مقرب ، أو صديق حميم ، أو زعيم كبير ، أو شيخ جليل ، أو اله من دون الله أن يتقدم لنصر احد . ويقوم المرء امام الله وحيدا لا نصير له ليؤدى حساب ما عمل . ويكون الأمر يومئذ لله.(٤٧)

....

← الالديه رقيب عتيد (ق : ١٧ ، ١٨) . وكل شىء فعلوه فى الزبر . وكل صغير وكبير مستطر (القمر : ٥٢ ، ٥٣) . وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون (الانفطار : ١٠ ، ١١ ، ١٢) . يوم تبلى السرائر . فماله من قوة ولا ناصر (الطارق : ٩ ، ١٠) . واخرجت الأرض اثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث اخبارها . بان ربك اوحى لها . يومئذ يصدر الناس اشتاتاليروا اعمالهم . (الزلزال : ٢ إلى ٦) .

٤٧- إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لناكرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧) . يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (البقرة : ٢٥٤) . ويوم نحشرهم جميعاثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون (يونس : ٢٨) . وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (ابراهيم : ٢١) . قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال (ابراهيم : ٣١) . وإذا رأ الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون (النحل : ٨٦) . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ←

٦- ويكون مدار حكم الله فى الناس على أنهم عبدوا الله حق عبادته بعد ايمانهم بالحق الذى ارسله الله اليهم وايمانهم بمسؤوليتهم يوم القيامة أم لم يعبدوا . إذا كانت الصورة الأولى فلهم الجنة ونعيمها . وإذا كانت الصورة الأخرى فلهم جهنم وعذابها.(٤٨)

....

← (مريم : ٨٢) . ويوم يناديهم فيقول اين شركاءى الذين كنتم تزعمون. قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا ايانا يعبدون . وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوالهم ورأوا العذاب لوأنهم كانوا يهتدون . ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين. فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لايتساءلون. فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (القصص: ٦٢ إلى ٦٥) . ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذاقربى (فاطر : ١٨) . وانذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (غافر : ١٨) . ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (الاحقاف : ٥ ، ٦) . ولا يسئل حميم حميما . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته واخيه . وفصيلته التى تؤيه ومن فى الأرض جميعاثم ينجيه (المعارج : ١٠ إلى ١٤) . يوم يفر المرء من اخيه . وامه وابيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه (عبس : ٣٤ إلى ٣٧) . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (الانفطار : ١٩) .

٤٨- اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزآؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا (الكهف : ١٠٥ ، ١٠٦) ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين (القصص : ١٠) . وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم ←

الواع الناس امام عقيدة الايمان بالآخرة

٥١- هذه العقيدة تقسم الناس إلى ثلاثة أقسام من ناحية اساليبهم للحياة : القسم الأول : الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرون أن لا حياة الا هـذه الحياة الدنيا . هؤلاء يعتبرون النتائج التى تظهر فى الدنيا للأعمال مقياسا للخير والشر . فكل عمل يتمخض عن نتيجة حسنة ونافعة هو خير فى اعينهم . وكل عمل يؤدى إلى نتيجة سيئة ومضرة يعتبرونه شرا . بل من الجائز أن يكون الشيء بعينه خيرا وشرا فى اعينهم فى مختلف الظروف من وجهة النتائج . والقسم الثانى : اولئك الذين يؤمنون بالآخرة ولكنهم يطمئنون إلى شفاعة أحد من المخلوق تنجيهم يوم القيامة بغض النظر عما ذا فعلوا فى الدنيا ، أو أن شخصا من الأشخاص قد فداهم بنفسه ، مسبقا ، كفارة لذنوبهم . أو هم أحباء الله ، فلا ينالون من الله الا عقابا رمزيا حتى على اكبر الكبائر وأعظم الذنوب . هذه العقيدة تضيع جميع الفوائد التى يتضمنها الايمان بالاخرة وتجعل هـذا القسم الثانى ايضا فى عداد القسم الأول من الناس . والقسم الثالث : هم اولئك الذين يؤمنون بالآخرة ايمانا صحيحا وبنفس الصورة التى اختارها الاسلام لهذه العقيدة . ولا يقعون فى سؤ التفاهم فى باب صلتهم الخاصة بالله تعالى ، ولا يقعون فى ظن خاطىء يقوم على عقيدة الكفارة ، أو الشفاعـة

←يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (الزمر : ٧١) . كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها ألم ياتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم إلا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى اصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير (الملك ٨ إلى ١١) . فاما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى . (النازعات : ٣٧ إلى ٤١) .

غير الصحيحة .(٤٩) فهذه العقيدة بالنسبة لهؤلاء الناس تشكل طاقة خلقية هائلة . والشخص الذى وقر فى سويداء قلبه وأعماق ضميره الايمان القوى الصحيح بالآخرة يكون حاله كرجل يصحبه فى كل حال من الأحوال رقيب يمنعه من كل ارادة تجره إلى السؤ ، يردعه عن اتخاذ كل خطوة نحو الاثم ، يؤنبه على كل عمل ينكره الاسلام سواء يكون فى الظاهر بوليس يقبض عليه أو بينة تدينه ، أو محكمة تعاقبه أو رأى عام يلومه على ما يفعله أم لا يكون . إذ يستقر فى نفس الانسان حسيب صعب المراس لا يجرؤ الانسان خشية منه على أن يتهرب من فرائض الله تعالى فى الخلوة أو فى الغابة أو فى الظلام أو فى البادية ، ولا يقدر على اقتراف ما حرمه الله . وإذا اقترف-

---

٤٩- وقالوا لن تمسنا النار إلا اياما معدودة قل اتخذتم عندالله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة : ٨٠ ، ٨١) . واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون (البقرة : ١٢٣) . وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير (المائدة : ١٨) . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . هانتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا (النساء : ١٠٨ إلى ١٠٩) . وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون (الانعام : ٥١) . من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه (البقرة : ٢٥٥) ما من شفيع إلا من بعد اذنه (يونس : ٣) . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من اذن له الرحمان ورضى له قولا (طه : ١٠٩) . وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم : ٢٦) .

على سبيل الافتراض - يندم على ذلك ويتوب إلى الله . ولا نجد سلاحا اقوى من ذلك للاصلاح الخلقى وتنشئة الانسان على السلوك المستقيم . فالقيم الثابتة الذى يعطيها قانون الله الذى هو اسمى من كل شىء لا يستطيع الانسان أن يعض عليها بالنواجذ ولا أن ينصرف منها بحال من الأحوال الا بفضل هذه العقيدة اى الايمان بالآخرة . ولذلك أصبحت لها فى الاسلام أهمية بالغة حيث أن انعدامها يجعل الايمان بالله وبالرسالة امرا لا يجدى بشىء .

مدى نفوذ اخلاقيات الاسلام فى الحياة

١٦- والاسلام - كما اشرنا فى الفقرة السادسة من البحث . عبارة عن حضارة متكاملة العناصر ، عن مدنية مستوعبة المقومات ، عن نظام شامل (Comprehensive) للحياة . وهو يعطى الانسان التوجيهات فى جميع شعب الحياة . ولذلك أن اخلاقيات الاسلام ليست للرهبان المنعزلين عن الدنيا ، ولا للكهنة والدراويش الذين يعيشون فى الكهوف والمغاوير ، بل هى للذين يسيرون شؤون الحياة أو يعيشون فى قعرها . فالسمو الخلقى الذى تتلمسه الدنيا - عادة - فى الزوايا ، والرهبانيات ، والاديرة ، والصوامع (Convents, Monastries, Cloisters) يريد الاسلام ممارسته فى وسط امواج الحياة . لأنه يجب أن يتحلى باخلاقيات الاسلام رؤساء الحكومات ، وحكام الاقاليم ، وقضاة المحاكم، وضباط البوليس والجيش ، واعضاء البرلمانات، وخبراء الشؤون المالية، ورواد الصناعة والمهن، واساتذة الكليات والجامعات وطلبتها، والآباء ، والأبناء، والازواج ، والزوجات ، والجيران. الحاصل أن يتحلى بها كل الناس افرادا و جماعات. وهو يريد أن يسود هذا السمو الخلقى كل بيت من البيوت . وهو الذى يحكم كل حى من الاحياء وكل سوق من الاسواق . وهو يريد أن يأخذ به كل المؤسسات التجارية والدوائر الحكومية فتصبح السياسة قائمة على الصدق والعدل ، وتتعامل الشعوب فى ما بينها على عرفان الحق

واداء الحقوق . حتى الحرب بينها تتسم بمراعاة الكرامة الانسانية ومبادىء الحضارة ، لا بهمجية الذئاب وضراوة الوحوش . إن الانسان اذا سار على طريق خشية الله ، وآمن بقانون الله كقانون اعلى من كل شىء ، واتبع القيم الثابتة للاسلام مستذكرا مسؤوليته امام الله يجب أن لا تبقى مزيته هذه منكمشة فى اطار المعبد فقط ، بل يصبح من شأنه أن كل امر يمارسه من امور الدنيا يمارسه كعبد لله تعالى صادق وفىّ أمين .

هذا هو العرض الموجز لمايدعو إليه الاسلام . وهذه الدعوة ليست من نسيج الخيال (Utopia) لفيلسوف من الفلاسفة بل دعا إليها محمد صلى الله عليه وسلم وطبقها فعلا فى الحياة . ولاتزال آثارها ، على رغم أن مضى عليها اربعة عشر قرنا ، ملموسة فى مجتمعات المسلمين اليوم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

ابو الاعلى المودودى